أزمة القيم ودور مؤسسات التربية في مواجهتها في ضوء الفكر الإسلامي

صفية مسعدي/ safia.messadi@univ-batna.dz /0023774173922

د. مختار بروال/ moukhtar.beroual@univ-batna.dz /00213672464215

الملخص:

تتضمن هذه الدراسة "أزمة القيم ودور مؤسسات التربية في مواجهتها في ضوء الفكر الإسلامي. وتهدف إلى إبراز خطورة أزمة القيم وعوامل نشأتها، وتسلّط الضوء على أهمية وضرورة المرجعية الإسلامية في صياغة النسق القيمي البديل الكفيل بانفراج هذه الأزمة .

كما تضمنت من جهة أخرى دور مؤسسات التربية في حل أزمة القيم وأنّ هذا الدور المهم لن يكون إلّا نتيجة بحوث ودراسات في المجال القيمي. يترتب عن هذه البحوث اقتراح بدائل أصيلة متكاملة تستعمل في هذه المؤسسات مع مراعاة كل مؤسسة وما يتناسب معها.

الكلمات المفتاحية:

أزمة القيم، مؤسسات التربية، الفكري الإسلامي

Abstract:

This study deals with "the crisis of values and the role of the educational institutions in confronting it in light of Islamic thought." It aims to highlight the seriousness of the crisis of values and the factors of its origin, and sheds light on the importance and necessity of the Islamic reference in formulating an alternative value system that guarantees a breakthrough in this crisis. On the other hand, it dealt with the role of the educational institutions in resolving the crisis of values, and that this important role will only be the result of research and studies in the field of values. It follows from this research to propose integrated alternatives to be included in the educational institutions, taking into account each institution and what is appropriate for it.

Keywords:

the crisis of values/ the educational institutions/ Islamic thought

مقدّمة:

تعدّ القيم الضابط والمعيار الأساسي لتشكيل السلوك الفردي والجماعي لأفراد المجتمع ولا يستطيع أي مجتمع وضع أهدافه بعيدا عن إطار القيم لذا تعدّ أزمة القيم من أخطر الأزمات التي تمر بها المجتمعات الإنسانية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة وتشترك جميعا في إطار واحد من المظاهر وينتقل تأثيرها إلى المجتمع في صور انحرافات سلوكية ويمتد تأثيرها للمجالات الاجتماعية السياسية والاقتصادية كافة.(أبو النور، 2017، 16)

إنّ أزمة القيم ليست ظاهرة معاصرة، وإنّما هي نتيجة تراكمات من التغيرات والعوامل السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية التي تتعرض لها المجتمعات.. وقد برزت أزمة القيم خصوصا مع ظهور الاستعمار العسكري المباشر الذي وجد القابلية والرضوخ من الشعوب المسلمة ابتداءً، ثمّ استفحلت هذه الأزمة وبلغت ذروتها من الخطورة مع تغير نوع الاستعمار من استعمار عسكري إلى استعمار ثقافي.

يهدف هذا الأخير إلى تقديم قيم الحضارة الغربية على أنها قيم عالمية منفتحة، قادرة على تجاوز الإطار الفكري والثقافي لنشأتها واستيعاب وتحويل الحضارات الأخرى وإعطائها أبعادا إنسانية بعد صهرها في الرؤية الكلية والتصورات العامة للحضارة الغربية، وذلك لأنها في زعمهم قيم ناتجة عن حركة العقل الحر المستنير، ذلك العقل الذي جعل من نفسه حكما على كل السلوكات البشرية وفي كل المجالات..(بن نصر،2004، 4)

ولمّا بلغت أزمة القيم هذه الدرجة من الخطورة، فإنّ السعي لإيجاد حلول لها على غاية الأهمية. وليس هناك أفضل من إيجاد بدائل في ضوء الشريعة الإسلامية، فالقيم الإسلامية ربانية المصدر والمنهج والغاية.

ولِمَا تعرفه القيم من أهمية قصوى بالنسبة للأفراد والمجتمعات، تعد التربية على القيم مسؤولية متقاسمة تضطلع بها المدرسة إلى جانب الأسرة ووسائل الإعلام وباقي المؤسسات التي تؤدي وظائف ذات صلة بالتربية والتثقيف والتأطير.

ولقد تعددت الدراسات نذكر منها: دراسة (محمد عبد التوّاب أبو النور و هناء مصطفى عوّاد محمد، 2017) والتي جاءت تحت عنوان "أزمة القيم في ضوء متغيري المرحلة التعليمية ونوع التعليم لدى المعلمين والمعلّمات بمؤسسات التعليم قبل الجامعي" وهدفت هذه الدراسة لكشف الفروق بين متوسطات درجات المعلمين على مقياس أزمة القيم التي تعزى إلى كلّ من النوع، السن، نظام التعليم والمرحلة التعليمية لدى العينة، وكانت النتائج كالآتي:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المعلمين على مقياس أزمة القيم تعزى إلى النوع لدى عينة البحث لصالح الإناث، وفسّر ذلك بالمعايير التي يفرضها المجتمع على الإناث مقارنة بالذكور.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المعلمين على مقياس أزمة القيم تعزى إلى السن لدى عينة البحث.

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المعلمين على مقياس أزمة القيم تعزى إلى نظام التعليم (عام وخاص) لدى عينة البحث، ويعاني من تحديات أزمة القيم القطاع الخاص أكثر.
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المعلمين على مقياس أزمة القيم تعزى إلى المرحلة التعليمية لدى عينة البحث، وكانت أزمة القيم تتجه للمرحلة التعليمية الأعلى.

والدراسة الثانية بعنوان "القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف" (قاسم محمد محمود خزعلي، 2011) أجاب فيها عن مجموعة أسئلة:

- ما القيم التربوية وما سماتها وما مصادرها، وما هي منظومة القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف؟

وبعد الإجابة على هذه الأسئلة كان من نتائج دراسته، ضرورة عدم الفصل بين القيم الإيمانية وبقية القيم الأخرى، وذلك لأنّ القيم الإيمانية هي الموجهة للقيم الأخرى.

دراسة أخرى لـ (فتحي حسن ملكاوي، 2008) بعنوان "التأصيل الاسلامي لمفهوم القيم " ومن خلالها أجاب عن السؤال "لماذا التأصيل الإسلامي للقيم؟"

ودراسة (فادي محمد عايد عبابنة، 2004) المعنونة بـ "اعتقاد طلبة المرحلة الثانوية والجامعية بالقيم الاسلامية وممارستهم لها في محافظة المفرق" حيث بحثت عن درجة اعتقاد طلبة المرحلتين الثانوية والجامعية بالقيم الإسلامية، وأظهرت النتائج التي توصّلت إليها أنّ درجة الاعتقاد عندهم مرتفعة جدا وفسرت هذه النتيجة بأن هذا الاعتقاد قد يكون نظريا نظرا للبيئة المسلمة التي يعيشون فيها.،و لمّا بحثت عن درجة ممارستهم لهذه القيم تحصّلت على درجة متوسطة.

وآخر ما نذكره من دراسات لـ (مزغراني حليمة، 2015) بعنوان "أثر وسائط نقل القيم على المراهق" وكانت نتائج التساؤلات المطروحة فيما يأتي:

- أنّ المستوى القيمي المنقول من طرف كلّ من الأسرة والمدرسة، لدى مراهقي المرحلة الثانوية كان مرتفعا.
- أن مستوى هوية الأنا، لدى مراهقي المرحلة الثانوية كان مرتفعا.
- إن الترتيب للقيم حول تفضيلات المراهقين كانت كما يأتي:(القيم الأخلاقية، ثمّ الاجتماعية، ثمّ السياسية، ثمّ الاقتصادية).

عندما ننظر لهذه الدراسات نجد أن بعضها تداولت القيم أو أزمة القيم وربطتها بالعملية التربوية، وبعضها الآخر تداولت القيم وأصّلت لها من نظرة اسلامية. أمّا عن دراستنا فستكون جامعة للشقين وهي معنونة بـ "أزمة القيم

ودور التربية في إيجاد حلول لها في ضوء الفكر الإسلامي" وعلى هذا الأساس سنعرض في هذا الدراسة العناصر الآتية:

1- تعريف القيم بصفة عامة والقيم الاسلامية بصفة خاصة.
2- ذكر أهمية القيم وتبيان خصوصية القيم الاسلامية.
3- تعريف أزمة القيم وذكر عوامل نشأتها.
4- تبيان دور مؤسسات التربية في مواجهة أزمة القيم.
5- ذكر أساليب تنمية القيم الاسلامية.

1- تعريف القيم:

لغة:

في المعجم الوجيز القيم تعني: قيمة الشيء وقدره وقيمة المتاع أي ثمنه وقوّم الشيء أي أصلحه، وقيم الشيء بمعنى أظهر ما فيه من إيجابيات وسلبيات. الأطروحة ص 73

اصطلاحا:

إنها المعيار المرجعي الديني أو الاجتماعي أو الثقافي المحدد لسلوك الأفراد تجاه الأشياء والأشخاص والأفعال. (الخوالدة وعيد 2005، 129) (الخصاونة، 2007، 29)

عرفها جيل فيريول وآخرون (2004) بأنها صفة أو سلوك اتفق على مثاليته فرديا أو جماعيا، مما يجعل الأفراد أو الجماعات المتصفين أو الفاعلين بهذه القيمة مرغوب فيهم وموضع تقدير. الأطروحة ص 74

2- تعريف القيم الاسلامية:

عرفها (قمحية، 1984،41) بأنها مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية. وتجعلها متكاملة، قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة. وعرفها 6 بأنها مجموعة القيم التي يبتغي بها الانسان المسلم مرضاة الله عزّ وجلّ وتنعكس في سلوكه مع الجماعة لتعكس نسقا من الحياة التي أرادها الله لعباده 6 ص11

3- أهمية القيم:

- تضبط القيم السلوك البشري وتحفظه من الانحراف واتباع الشهوات والأهواء، وفي هذا حماية له وللمجتمع من أن يسوده الجريمة والفساد.
- التحلي بالقيم ينشئ أشخاص أسوياء يعيشون حياة مستقرة وسعيدة.
- إن الأنسان المتشبع بالقيم هو إنسان مساهم إيجابيا في بناء مجتمعه وتحقيق غاياته.
- تحمي القيم المجتمعات من الانهيار والتفكك وذلك بفضل التناغم والانسجام الداخلي فيها رغم ما قد يعتريها من ظروف وأزمات.

4- أهمية القيم الإسلامية:

تشترك القيم الاسلامية مع القيم عامة في نقاط الأهمية المذكورة سابقا، إلا أن القيم الإسلامية تنفرد بنوع من الخصوصية تكسبها أهمية بالغة خاصة نذكر منها:

- تكمن أهمية القيم الإسلامية في أنّ من خصائصها الربانية فهي إلهية المصدر والمنهج والغاية أما القيم المنبثقة من الفلسفات الأخرى فهي اجتهاد بشري فيها الصواب والخطأ وتنطلق من خلفيات اجتماعية وثقافية غير قابلة للتعميم إجمالا مثل ما هو حال القيم المقتبسة من الفلسفة البراغماتية أو الفلسفة المثالية وغيرهم.
- وكذلك في كونها شاملة ومتكاملة أي أن هناك تناغما فيما بينها فلا تحد قيمة بقيمة اخرى، وكيف لا يكون هذا الشمول والتكامل وهي ربانية المصدر وضعها الله الذي من أسمائه الحسنى المحيط العليم الخبير الحكيم الذي أحاط كل شيء علما..
- ومن علامات أهمية القيم الإسلامية البالغة أنها واقعية من حيث أنها تراعي الفطرة وجميع الظروف الإنسانية فهي ليست تعجيزية ولا مثالية نظرية، فبعد أن بينها الله تعالى في كتابه وفي الأحاديث النبوية نظريا نجدها متجسدة بشكل واقعي وعملي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فعنْ عائشة رضي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: "كَانَ خُلُقُ نَبِيِّ اللَّه ﷺ الْقُرْآنَ" رواهُ مُسْلِم

5- تعريف أزمة القيم:

يشير (سيد عبد العظيم، محمد عبد التواب، 6،1999-22) إلى أنّ أزمة القيم هي حالة من التوتر تنشأ من عدم القدرة على تنظيم القيم الشخصية (الذاتية) في نظام متناسق، لنقص تكامل النسق القيمي وانخفاض الاحساس بادراك وفهم القيم.. وعليه يلجأ الأفراد السلوكيات خارجة عن القيم والعادات، ويفتقدون المعايير الأخلاقية، فيصبحون ثائرين على كلّ ما هو أصيل في المجتمع.. (أبو النور، 2017، 03)

إنّ هذا التعريف يفسر لنا التوتر الحاصل داخل المجتمعات المسلمة والذي من مظاهره التداخل بين القيم المستوردة والقيم الأصلية للمجتمع أو ما يمكن تسميته الاستيلاب الحضاري فيتم استيراد برامج ومناهج وكتب وأفكار تربوية جاهزة من الغرب، وإن كان فيها جانب إيجابي إلا أنه ينبغي التعامل معها بوعي وعن دراية. لأنّ المنظومات الغربية القيمية مأخوذة من الفلسفات البشرية ولا تجعل للدين اعتبارا في تشكيلتها القيمية على سبيل المثال نجد أن المنظور المادي الفلسفي، يعتبر القيم حيادية ومتغيرة ولا يجب تلقينها أو فرضها لأنها جزء من الحرية الشخصية ، كما نجد أن البراغماتية تعتبر القيم متغيرة لا ثبات لها، وهذا ما يجعلها فضفاضة لا معيار لها من صلاح أو فساد وإنما تكون خاضعة لمصالح الناس وأهوائهم الشخصية..

وهذا يختلف عن نظام القيم الاسلامية الذي أساسه نظام الاعتقاد في الإسلام.. فالقيم الإسلامية ربانية المصدر والغاية ، كما أنها شاملة لجميع مناحي الحياة وهي مراعية لمختلف الظروف المجتمعية، ولا يتغير مضمونها مع تغير الزمان والمكان فتظل القيم الحسنة حسنة ولا تتغير بتغير المصالح الشخصية والأهواء. أمّا عن مصادر هذه القيم فهي:

القرآن الكريم، السنّة النبوية المطهّرة، الإجماع، القياس، المصالح المرسلة، العرف ـ شريطة أن لا يكون العرف مخالفا للنص ـ

6- العوامل المؤدية لأزمة القيم:

تعرضت الأمة الإسلامية لعديد من الظروف والعوامل المتداخلة فيما بينها أدت لظهور هذه الأزمة وتفاقمها، نقسم هذه العوامل إلى قسمين عوامل خارجية وعوامل داخلية:

أ- العوامل الخارجية:

تحوّل اهتمام موازين القوى في العالم من الاهتمام بالجوانب العسكرية والسياسية والاقتصادية، إلى الجوانب الفكرية والثقافية والاجتماعية، وأخذت المنظمات الإقليمية والدولية تمارس أدوارا مباشرة في فرض الهيمنة على الشعوب، في مسائل كانت تمثل إلى عهد قريب خصوصيات ثقافية أو دينية مقدسة. وأخذت تلك الخصوصيات المقدسة تخلى موقعها أمام الشرعية الدولية بوصفها مرجعية لا سبيل إلى تجاوزها. وبعد أن كانت الشرعية الدولية هي قرارات عسكرية سياسية أصبحت قرارات تتعلق بحقوق الإنسان، والثقافة السكانية، والمجتمع المدني، وحقوق المرأة، ومفهوم الأسرة.. (ملكاوي، 15،2008) وبهذا وان كانت الأمة الاسلامية تحررت من الاستعمار التقليدي وقعت في استعمار آخر جديد لا يسلب الأوطان فقط وإنما يسلب العقول أيضا..

وهذا ما يعرف بالعولمة، وهي حركة قسرية تسعى بالاعتماد على احتكارها للمال والإعلام والتقنية إلى إعادة تشكيل العالم وفق الصورة التي يريدها المركز. فتتحول المفاهيم الليبرالية في نسختها الأمريكية المعاصرة إلى

مفاهيم وقيم ومواقف إنسانية مشتركة لا تعرف حدود الثقافات. وقد علّق على هذا المفكر المغربي (المهدي المنجرة) في كتابه الحرب الحضارية الأولى مستقبل الماضي وماضي المستقبل "إن النظام العالمي بمجمله يتألف من ثلاثة أنظمة فرعية الأول: النظام السياسي الذي يسهر على تحقيق أهدافه. والثاني: النظام الاقتصادي الذي يوفر الموارد كي يكتمل إنجاز هذه الأهداف. والثالث: النظام الثقافي الذي يحدد سلالم القيم التي تنطوي عليها هذه الأهداف." (بن نصر،2004، 12)

ويندرج ضمن العوامل الخارجية عوامل في مختلف المجالات:

- العوامل الاقتصادية:

تعد هي الأكثر وضوحا وحضورا وتأثيرا في المرحلة الراهنة وهي تشير إلى تحول العالم إلى منظومة من العلاقات الاقتصادية المتشابكة التي تزداد تعقيدا لتحقيق سيادة نظام اقتصادي واحد، فيه يتبادل العالم الاعتماد بعض على بعضه الآخر في كل الخدمات والسلع والمنتجات والأسواق ورؤوس الأموال والعمالة والخبرة، حيث لا قيمة لرؤوس الأموال من دون استثمارات ولا قيمة للسلع دون أسواق تستهلكها..(عمّار،2000، 74)

هذا الوجه الاقتصادي السائد للعولمة امتدت آثاره السلبية إلى المجتمع، فقد أدى إلى تفكيك وإضعاف العلاقات الاجتماعية، وتوهين الانتماءات الوطنية، على حساب القيم الإنسانية، وإحلال امتلاك الثروة والربح مقام الثقافة والوعي وتحقيق الذات والثقة بالنفس. العولمة تهدف إلى تكوين الشخصية الكونية منفصلة عن جذورها وقيمها ومشاركتها في هموم وطنها،عن طريق الهيمنة الاقتصادية وفتح الأسواق واستغلال موارد وطاقات الدول النامية. (عمّار، 2000، 41) (الزيد، 2017، 279-280)

إضافة على ما سبق أدت هذه التحديات إلى ظهور مشكلات اقتصادية واجهت أبناء المجتمع عبر مسيرة حياتهم المعيشية ووقفت حائلا أمام احتياجاتهم الأساسية كالفقر والبطالة وارتفاع الأسعار وانخفاض مستوى الدخل وقلة الخدمات وزيادة مستوى المعيشة والقهر المادي والاستغلال الاجتماعي وعجز الأفراد عن تدبير أمور حياتهم المعيشية، كل ذلك يؤدي بدوره إلى تشكيل أنماط سلوكيات غير مقبولة اجتماعيا ويخلق نوعا من الخلل القيمي.. (أبو النور، 2017، 18)

- العوامل التقنية:

من الآثار السلبية للثورة التقنية التكنولوجية الهيمنة الإعلامية الأمريكية على نظم الإعلام في العالم، ومن ثم يسهل عن طريق هذه الوسائل الإعلامية المتقدمة فرض الهوية الثقافية الأمريكية على شعوب العالم، بالرغم من وجود الخصوصية الثقافية لكل مجتمع، كما أدت الهيمنة الإعلامية إلى انتشار البرامج التي تروج لنمط الحياة الغربية

في إطارها الثقافي الرأسمالي، الأمر الذي أصبح له تأثيره البالغ على السلوكيات والقيم الاجتماعية والثقافية. (الجندي، 1999، 106) (الزيد، 2017، 281)

- العوامل الثقافية والاجتماعية:

يسعى الغرب إلى عولمة القيم الاجتماعية وفرضها على الدول بشتى الطرق تحت مسميات مختلفة منها الحرية أو المتعة الجنسية المأمونة أو حقوق المراهقين والمراهقات الناشطين جنسيا أو الحمل والإجهاض الآمن تنظيم الأسرة والحماية من الزواج المبكر.... ويبدو ذلك جليا في مواثيق تم عولمتها باسم الأمم المتحدة. (الزيد، 2017، 286)

وقد ترتب عن هذا الغزو الثقافي آثارا خطيرة على منظومة القيم فقد تم تكريس قيم المصلحة الذاتية على قيم المصلحة، والقيم الاستهلاكية وإماتة النخوة والشرف وانتشرت الآفات الاجتماعية، فالرشوة هي استحقاق وجهد وإكرامية، والكسب غير المشروع شطارة، وعليه انهارت المعايير التي كنّا نقيّم بها سلوكنا وتصرفاتنا وبدأت تشيع القيم البراغماتية بما فيها من نفعية مادية وتفاخر وبهرج زائف.. (الغالي، 2007، 141)

وهذا الخلل القيمي يؤثر على الجانب النفسي لأفراد المجتمع كذلك، فيشير (وطفة، 1995 ،55) إلى تصدع البنية النفسية للفرد عندما يتعرض لتناقضات قيمة ويقع فريسة الذهنيات والانفصامات النفسية ويحدث هذا على مستوى الجماعة الصغيرة أما إذا حدث على مستوى المجتمع ككل فتكون النتيجة أصعب حيث تتصدع البنية الثقافية ويصبح المجتمع ككل في صراع قيم ثقافية متضاربة مما يؤدي إلى ما يعرف بالتصدع الثقافي لدى الفرد والجماعة أو ما اصطلح على تسميته بأزمة القيم الثقافية .(أبو النور، 2017، 16)

ب- العوامل الداخلية:

تؤدي العوامل الذاتية الداخلية اثرًا مهما في حدوث أزمة القيم نذكر من هذه العوامل:

- الهزيمة النفسية:

المعضلة حسب مالك بن نبي ليست في الاستعمار أو في العوامل الخارجية، بل في الهزيمة النفسية، فإذا كان المعامل الاستعماري (**colonisateur Coefficient**) يعبّر عن مجموعة العقبات والعراقيل الخارجية التي يعمل فيها على فرض كل حركة في حياته تتماشى مع النموذج الاستعماري. فإنّ معامل القابلية للاستعمار (**réducteur-auto coefficient**) يكون ناتجا عن مشاعر الخنوع والاستسلام والرضا بواقعه المعاش، دون أي إرادة للأخذ بزمام البناء والتشييد الحضاري. (عمّوت، 2020، 349)

وفي هذا يقول (بن نبي، 1986، 31) إنّ الاستعمار ليس من عبث السياسيين ولا من أفعالهم، بل هو من النفس ذاتها التي تقبل ذل الاستعمار والتي تمكّن له في أرضها، وليس ينجو شعب من الاستعمار وأجناده إلا إذا نجت نفسه من أن تتسع لذُل مستعمِر، وتخلصت من تلك الروح التي تؤهلها للاستعمار.

وعلى هذا الأساس يمكن القول إنّ الأمن الثقافي يرتبط ارتباطا جوهريا بالوعي الذاتي، فكلما كان هذا الوعي عاليا، كلما كانت هناك حصانة ثقافية، وحماية للجهاز المفاهيمي من التحريف والتزييف. وكلما كانت هناك قابلية واستجابة نفسية داخلية لمخلفات الآخر، كان هناك انصهار وتبعية. (عمّوت، 2020، 346)

- تشويه العقيدة في نفوس المسلمين وانحصار مفهوم العبادة:

يقول مالك بن نبي "ليست المشكلة أن نعلّم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي."

وعن فعالية العقيدة يضيف (بكّار، 2011 ، 31) إذا انتقلنا إلى مستوى فاعلية العقيدة ومدى بعثها على الفعل والكف وجدنا أنّ ضعفا مخيفا في استجابة المسلمين لنداءات العقيدة يخيّم عليهم، فعلى الرغم من إيمان المسلم بمسؤوليته عن الأعمال التي يقوم بها نجد نوعا من اللامبالاة وعد الاهتمام بذلك..

وقذ نتج عن تشويه العقيدة ونقص فاعليتها انحصار في مفهوم العبادة ، يقول (المصري، 2011، 388-389) لقد انحصر مفهومها لدى النّاس بأنّها مجرد أداء الشعائر التعبدية فقط. ولما حدث التخلف العقدي التدريجي الذي حصر العبادة في الشعائر التعبدية وحدها وأخرج منها بقية التكاليف حدث ضمور تدريجي في جميع التكاليف التي كانت من قبل مرتبطة بالعقيدة مرتبطة بالمعنى الشامل للعبادة وأصبحت أمورا كمالية إن شاء الإنسان قام بها وإن شاء لا.

7- دور مؤسسات التربية في إيجاد حلول لأزمة القيم:

تتعهد مؤسسات التنشئة الاجتماعية تربية وتنشئة الطفل منذ ميلاده وتتكامل أدوار هذه المؤسسات بحيث نجد أثر كل منها في تكوين شخصية الفرد وكل منها يغرس القيم بطريقة تختلف عن الأخرى لتكتمل منظومة الأخلاق والقيم بالتقدم في العمر وفقا للمراحل المختلفة.(أبو النور، 2017، 13) نذكر من هذه المؤسسات:

- الأسرة:

إنّ الأسرة هي المؤسسة الأولى التي تربي وتنشئ الفرد وكما أنها المؤسسة الاجتماعية الأعمق أثرا في بناء شخصية وتكوين الاتجاهات والقيم والأفكار. يقول (نيازي والسيحاني، 2001، 219) تعمل الأسرة على نقل ثقافتها

من لغة ودين وتقاليد وعادات واتجاهات وقيم ومعلومات ومهارات إلى أطفالها وبناء شخصياتهم لجعلهم أفرادا نافعين لمجتمعهم وقادرين على مواجهة متطلبات الحياة والاعتماد على أنفسهم في المستقبل. 533 دراسة جديدة

إلاّ أنه حتى الأسرة هي نفسها في خطر يحول بينها وبين أداء دورها الفعلي نتيجة اختلال الروابط الأسرية والاجتماعية ومروق الشباب ونمردهم على ضوابط الأسرة وقيم المجتمع. (دراسة جديدة 3، 13) فغالبية الأسر أصبحت تقوم بدور الرعاية المادية فقط وأحيانا تضيف عليها الاهتمام بالجانب الدراسي غافلة عن جوانب التربية الأخرى. لهذا نلاحظ انتشار الشذوذ والرذيلة والاجهاض، كثرة الطلاق، طغيان النزعة الأنانية المادية بين الزوجين أو حتى مع الأبناء.

بوصف أن الأسرة هي النواة الأولى فإن لم تقم بدورها في التربية على القيم الاسلامية فسيصعب على بقية المؤسسات الأخرى تصحيح الخلل التربوي القائم. لذا وجب نشر الوعي بأهمية الأسرة وأدوارها، كما وجب تأهيل المقبلين على الزواج والأبوين لكي ينجحوا في تأسيس أسر سليمة متشبعة بالقيم الفاضلة.

- المدرسة:

لا يقتصر دور المدرسة على التعليم وإنما لها مهمة أخرى مركزية وهي التربية. فالمدرسة منظومة متكاملة تساعد الطفل على أن يكون شخص له دور إيجابي في مجتمعه وكما انها تنقل التراث وتحافظ على هوية المجتمع. وقد ذكر (زايد،2012، 287) بأن هدف التعليم هو إدماج الأفراد في حياة المجتمع عن طريق غرس القيم الأخلاقية وذكر منها - باختصار -:

- الجدارة(الاستحقاق) **Meritocracy**:

هي قيمة في حد ذاتها تعبر بنحو أو آخر عن العدل والمساواة. فالنظام التعليمي يتأسس على منح الجدارة أو منعها في ضوء الدرجات التي يحصل عليها الطلاب في امتحاناتهم والمهام التي يكلفون بها. ويحقق الفرد مكانة أو وضعا معينا داخل فصله أو مجموعته الدراسية ويتم ذلك على نحو معلن وشفاف..

- الإنجاز: **Achievement**

الجدارة والاستحقاق يعتمدان اعتمادا كليا على الإنجاز. فالتلميذ المنجز هو الذي يستطيع أن يحظى بأعلى درجات الجدارة والاستحقاق، ومن ثم فإن الطريقة التي يعمل بها النظام المدرسي تغرس في التلاميذ أهمية الإنجاز كقيمة شخصية واجتماعية. فالإنجاز المدرسي يعمل على بناء شخصية الفرد ويحولها إلى شخصية باحثة بشكل دائم على تحقيق الأهداف..

إن التلميذ الذي يكتسب قيمة الإنجاز يكون قادرا على أن يقدم لمجتمعه إنجازات كبيرة في مجالات عدة وبهذا المجتمع يتحول عبر الإنجازات المتعددة لأفراده إلى مجتمع منجز. إن مجتمع الإنجاز يكون مدفوعا إلى تحقيق نهضة يشارك فيها كل أفراده..

- التبادلية والاحترام: **Reciprocity**

إن التبادلية مفهوم ثقافي اجتماعي يؤشر على قدرة الأفراد على الأخذ والإعطاء في ضوء معايير متساوية ولذلك فإن التبادلية لا تتضح إلا في إطار من الاحترام المتبادل أو الإيجابية المسؤولة والتي توجد عندما يميل الشخص إلى التخلي عن الأنانية الفردية ويخلق لنفسه مساحة كافية كي يستوعب ثراء الأصوات من حوله.. إنّ النظام التعليمي الموجه بالقيم أو النظام الشامل يعمل على غرس هذا النوع من التبادلية في السلوك وذلك عبر ما يعتمد عليه من نظم للعدل والمساواة وعبر الأنشطة المشتركة التي يقوم بها التلاميذ خارج الفصول...

- العمل الجماعي:

العمل الجماعي يسمح بأن يضيف كل فرد خبراته وقدراته الشخصية لإنجاز المهمة. إن حل المشكلات المعقدة المحيطة بنا يتطلب تعاون أفراد عديدين لإيجاد حلول مبتكرة لهذه المشكلات بل إن هذه المشكلات قد تحتاج إلى تخصصات مختلفة تجتمع سويا للتوصل إلى إنجاز كامل للمهمة... إن الشخص الذي يتعود على العمل في جماعة تصبح عينه على صالح المجتمع وليس على المصالح الذاتية الخاصة به. ومن ثم فإنه يتوقع أن يعمل التعود على العمل الجماعي على تكوين أفراد اجتماعيين لديهم شعور قوي بالنحن وليس الأنا. ويبدو أنه كلما قوي الشعور بالنحن قوي الإنجاز وتميز، فقد أكدت البحوث على أن التلاميذ الذين يعملون في جماعات يحققون إنجازا دراسيا أعلى من أولئك الذين يعملون فرادى وربما يكون ذلك راجعا إلى المنافسة الايجابية أو إلى التعاون الخلاق أو راجع إلى ما يطلق عليه علماء ديناميات الجماعة بالتيسير الاجتماعي أو المجارات الاجتماعية.

- القيم المدنية:

هناك إجماع عالمي على أهمية هذا النوع من القيم لكي يتحقق السلام في المجتمع ولكي يستطيع أفراد المجتمع تنظيم أنفسهم وفق أسس حضرية يرتفع فيها المجتمع على الفرد دون أن تكبل حرية هذا الأخير واستقلاليته، ويعلو فيها صوت الضمير الجمعي والذات الكلية والهوية الجمعية..

يتأصل هذا النوع من القيم داخل المؤسسات التربوية وعلى رأسها التعليم ويتحقق ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر فثمة اتجاه لدى بعض النظم التربوية والجامعات إلى إدخال مناهج دراسية متكاملة حول حقوق الإنسان وحول التعليم المدني بحيث يحصل التلميذ على جرعة اخلاقية تعرفه بحقوقه وواجباته من ناحية وتنمي داخله الإحساس بالمجتمع من ناحية أخرى...

من ناحية أخرى فإن القيمة المدنية يمكن أن تغرس في وجدان التلاميذ والطلاب بشكل غير مباشر عبر ما يسمى بالمنهج الخفي أي توجيه بعض المناهج الدراسية خاصة في العلوم الاجتماعية واللغات إلى بث قيم التسامح واحترام الآخر والعدل والمساواة والتعاون وذلك بشكل غير مباشر عبر النصوص والتمارين وعبر العملية التدريسية نفسها. وقد تغرس القيم المدنية عن طريق المشاركة في الأنشطة الطلابية في ضوء مبدأ التطوع والعمل المشترك.

- المواطنة والمسؤولية الاجتماعية:

تنتهي كل القيم التي نوهنا عنها آنفا إلى قيمة عليا أهم هي قيمة المواطنة والمسؤولية الاجتماعية.

كلما نمت داخل الفرد والجماعة مستويات عليا للمسؤولية الاجتماعية، تعاظم الميل نحو السلوك الإيجابي أي التحول من المواطنة السلبية إلى المواطنة الإيجابية. ويؤدي التعليم دورا كبيرا في تكوين ثقافة المواطنة والمسؤولية الاجتماعية. وقد ذهب كثير من الباحثين التربويين إلى تأكيد أهمية التعليم من أجل المواطنة، أو التعليم الذي يتوجه بقيم المواطنة، بوصفها نموذجا للتعليم الأخلاقي الذي يهدف إلى تزويد التلاميذ والطلاب بالمعارف والمهارات ومظاهر الفهم المختلفة بحيث يجعلهم مواطنين عارفين وعلى وعي بحقوقهم وواجباتهم ومسؤولياتهم..

تعدّ القيم الستة السابقة التي ذكرها (زايد،2012) قيما مهمة وأساسية، ولكنّها غير كافية وحدها فضلا عن هذه القيم الستة والقيم العالمية المشتركة المشابهة لها يجب تزويد العملية التربوية بمجموعة قيم أخرى تتناسب مع خصوصية المجتمع المسلم الذي ينشأ فيه التلميذ. ومن هذه القيم ما ذكر في منهاج العلوم الاسلامية في الجزائر (2020، ص3) وقد تم التركيز في هذه الوثيقة على ضرورة تناول القيم وربطها بالنصوص الشرعة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، ومن المجالات القيمية المذكورة:

- القيم الإيمانية والتعبدية: الهدف منها تعميق الفهم فيما يتعلق بالإيمان بالله وبالغاية من العبادة وتوسيع مفهومها في ذهن التلميذ..
- القيم الفكرية العلمية: هدفها تحصين التلميذ بجملة من المنطلقات الفكرية التي تتيح له الفهم السليم لدينه.
- القيم الاجتماعية والأسرية: هدفها تعريف التلميذ بقيمة الأسرة والمجتمع الذي يعيش فيهما وما ينبغي اتجاههما.
- القيم الاقتصادية والمالية: هدفها تعريف التلميذ قيمة الأشياء ومتطلبات الحياة الكريمة وتوجيهه بما يتناسب مستواه الإدراكي.
- القيم الاعلامية التواصلية: الهدف منها التعريف بالآخر ومكانته وكيف ينبغي التعامل معه.
- القيم الفنية والجمالية: الهدف منها تهذيب الميول وتنمية الذوق الجمالي.
- القيم الصحية البيئية: الهدف منها توجيه التلميذ لتقبل التغيرات الطارئة عليه وللتعرف والحفاظ على بيئته.
- المساجد والجمعيات الثقافية ومراكز الشباب:

لهذه المؤسسات دور محوري فهي تكمل وتدعم مهام الأسرة والمدرسة وغالبا ما يتجاوب الطفل إيجابيا مع هذه المراكز لأنها تنقل القيم وتغرسها بأساليب مرنة ومحفزة..

وقد أورد 347الوهيبي (دراسة 2) عدة أدوار تربوية للمسجد منها: أنه يربي على الوقار والسكينة وينمي الجانب الروحي، وكما يعوّد المصلي على ترك الباطل، إضافة إلى أنه مكان للتعليم والتثقيف والتوجيه والارشاد.

- جماعة الأقران:

مع تقدم الطفل في العمر يبحث عن استقلاليته ويتحسس من الراشدين الذين عندهم سلطة عليه.. وفي مقابل ذلك نلاحظ تقربه من جماعة الأقران لأنها تقدم له فرصة التعامل مع أفراد متساويين و متشابهين معه.. وتعد جماعة الأقران مهمة في تحقيق استقلاله وتعلمه لأدوار اجتماعية جديدة وفي تشكيل اتجاهاته وكذلك اكتساب مجموعة قيم جديدة.. لذا من الأدوار المهمة للوالدين مرافقة الأبناء في اختيار جماعة الأصدقاء، وينبغي أن تكون المرافقة مرنة بأساليب متنوعة حتى لا ينفر الأبناء ويشعرون بالضغط وعدم الراحة.

- وسائل الإعلام:

فرضت وسائل الإعلام نفسها كمؤسسة من مؤسسات التربية والتنشئة الاجتماعية لما لها من دور بارز في التأثير على القيم والسلوكيات.. إلّا أنّ لها دورين دور إيجابي إذا كانت هذه الوسائل توفر محتوى يتوافق مع هوية المجتمع وأهدافه ودور سلبي إذا كانت تقدم محتويات لا تخدم رسالة المجتمع..

8- أساليب تنمية القيم واستراتيجيات تعليمها:

- القصة: تمثل القصة عاملا تربويا مهما في تهذيب الإحساس وترقية الوجدان والارتقاء بإنسانية الإنسان فهي تمد المتعلم بألوان الأدب الراقي في تعبيره وفكرته وفي ألفاظه وأساليبه والقصة تعطي للناشئة قيمة إنسانية ومثلا عليا في إطار من التصوير الفني المبدع الذي يشجع على التركيز والانتباه. ولأهمية هذه الوسيلة نجد القرآن الكريم كثير منه قصص، كما أنّ تاريخنا الاسلامي حافل بقصص القدوات والأبطال.
- القدوة: النفس البشرية تميل إلى التقليد والمحاكاة وعليه يسهل اكتساب الخبرات من خلال القدوة لكونها متجددة وماثلة أمامه (القاضي، 2002)وقد أكد الإسلام على القدوة الصالحة حيث قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا.(الشيدي،2013، 21)
- الموعظة والنصيحة: ويعتبر هذا الأسلوب من أهم وسائل التربية المؤثرة في إعداد الطفل خلقيا واجتماعيا ونفسيا لما له من أثر كبير في تبصير الطفل في حقائق الأشياء ودفعه إلى معالي الأمور وتحليته بمكارم الأخلاق وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الباب" الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال لله ولرسوله ولائمه المسلمين وعامتهم وقد ورد استعمال هذا الاسلوب في القرآن كثيرا مثل قوله تعالى أن الله يأمر

بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.. (المزين، 2009، 28)

- السؤال والحوار والمناقشة: تعدّ هذه الوسيلة إحدى الوسائل المهمة في التدريس التي يستخدمها كثير من التربويين إلا أن استخدامها في مجال غرس القيم التربوية والأخلاقية يعتبر أكثر تأثيرا وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم خير مثال على ذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال الرسول صلى الله عليه وسلم اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاه يامن وزكاه ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيه حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار. (أبو مسامح، 2011، ص63)
- الثواب والعقاب:

إنّ الترغيب والترهيب أسلوبان قرآنيان، فقد رغب الله عزّ وجل ووعد عباده بالجنة والخير العميم لمن التزم بالتعاليم وداوم على أعمال الخير، كما أنه رهّب من العذاب والعقاب لمن عصا وكفر. لذا ينبغي على المربي أن يحفز المتربي على الأعمال الطيبة ويذكر له فضلها وجزاءها ومحبة الله لفاعليها وأن يحذره من الأعمال السيئة ويذكر له عواقبها وعقاب الله لفاعليها. كما أنه من طرق استعمال الترغيب وعْدُ المتربي بالمكافأة التي يحبها ويفرح بها، ويكون الترهيب على عكس ذلك عن طريق حرمانه منها.

خاتمة:

لا مخرج من أزمة القيم إلّا بالرجوع للدين الإسلامي، فيُستَخرجُ منه قيم ذات خصائص وسمات متوافقة معه. ولا يعني هذا عدم الاستفادة من التجارب الإنسانية الموجودة، ففيها إيجابيات يؤخذ بها ويُضاف عليها.

إن للقيم الإسلامية مهمة مزدوجة فهي لا تقتصر على إصلاح الواقع الاسلامي الذي في أغلبه الأعم يسير نحو الانهيار الكامل، وإنما تقوم أيضا بتصحيح مسار الإنسانية الذي أدخلته الحضارة الغربية في نسختها الأمريكية في طريق مسدود.. (بن نصر،2004، 29)

ولا يمكن الاستفادة من هذه القيم إلا عن طريق تنظيمها في نسق قيمي أصيل ومتكامل مبني على أساس علمي وبطريقة منهجية. يُعتمد على هذا النسق القيمي من مختلف مؤسسات المجتمع المنوطة بالتربية والتنشئة، ويُكيّف حسب كلّ مؤسسة وخصائصها.

المراجع:

الكتب:

1- ابن منظور، أبي الفضل محمد جمال الدين (1997)، ، لسان العرب، المجلد12، دار صادر، بيروت، لبنان.

المذكرات والدراسات:

1- أبو النور ومحمد، محمد عبد التواب، هناء مصطفى عوّاد(2017)، "أزمة القيم في ضوء متغيري المرحلة التعليمية ونوع التعليم لدى المعلمين والمعلّمات بمؤسسات التعليم قبل الجامعي"، مجلة جامعة الفيّوم للعلوم التربوية والنفسية، العدد7، الجزء4.

2- أبو مسامح، محمد ابراهيم(2012)، القيم التربوية في مقررات التربية الاسلامية للمرحلة الثانوية في الأردن –دراسة تحليلية-، رسالة ماجيستير، جامعة أم درمان، السودان.

3- الحق، محمد أمين (2012)، القيم الاسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع، مجلة دراسات، الجامعة الاسلامية العالمية بشيكاغو، المجلد19.

4- الخصاونة، خلود أحمد سليم (2007)، أثر تدريس وحدات تعليمية مطورة من مبحث التربية الإسلامية على ضوء منظومة للقيم التربوية في تحصيل طالبات المرحلة الثانوية في الأردن واتجاهاتهن نحو المبحث، أطروحة دكتوراه، جامعة عمّان العليا للدراسات العليا.

5- الزيد، حصة عبد الكريم(2017)، مدى تأثر القيم الأخلاقية بالتغيرات المعاصرة بالمجتمع السعودي ودور الدعوة في المحافظة عليها، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد 174، الجزء1.

6- الغالي، بلقاسم محمد(2007)، دور المؤسسة التربوية والتعليمية في عملية غرس القيم، مجلة شؤون اجتماعية، العدد25.

7- المصري، عصام كمال (2011)، الأزمة الأخلاقية في الفكر الإسلامي المعاصر مظاهرها، أسبابها، علاجها، مجلة الانسانيات، العدد37.

8- بن نصر، محمد (2004)، قيم العولمة والبديل الاسلامي، مجلة تفكّر، المجلد6، العدد1.

9- خزعلي، قاسم محمد محمود (2011)، القيم الربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث والدراسات، العدد 25.

10- زايد، أحمد (2012)، التعليم وتأسيس منظومة القيم، مجلة التفاهم، العدد 36.

11- زيرق، دحمان (2016)، التربية في الفكر الاسلامي المعاصر –محمد الغزالي- نموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

12- صوكو، سهام (2009)، واقع القيم لدى المراهقين في المؤسسة التربوية دراسة ميدانية بثانوية بوحنة مسعود - فرجيوة ميلة -، رسالة ماجيستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
13- عبابنة، فادي محمد عايد (2004)، اعتقاد طلبة المرحلة الثانوية والجامعية بالقيم الاسلامية وممارستهم لها في محافظة المفرق، رسالة ماجيستير، جامعة آل البيت.
14- عمتوت وقدّوس، كمال، خديجة (2020)، القابلية للاستعمار وتهديدها للأمن الثقافي من منظور مالك بن نبي، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، المجلد5، العدد4، جامعة زيان عشور، الجلفة، الجزائر
15- فردوس وفتريانا، محمد، علي(2022)، القيم الأخلاقية عند الشيخ نووي الجاوي، مجلة التدارس التربوي، العدد 4، رقم1.
16- محمد، هبة (2015)، تصوّر مقترح لتضمين بعض القيم الأخلاقية بكتب رياضيات المرحلة الإعدادية في ضوء كشف ملامح المنهج الخفي، مجلة كلية التربية، جامعة بورسعيد، العدد18.
17- ملكاوي، فتحي حسن (2008)، التأصيل الاسلامي لمفهوم القيم، مجلة اسلامية المعرفة،السنة14، العدد54.